إشكاليّة الازدواجيّة اللّغويّة

أ. كاهنة لرول، جامعة مولود معمري، تيزي-وزو

الإشراف: أ.د. صالح بلعيد

ملخص: اللّغة وسيلة للتّواصل، يستعملها الفرد لهدف تحقيق أغراضه وقضاء حاجاته وتعتبر من أهمّ وسائل الاتّصال، كونها أدّاة تستخدم للتّفاهم، وتبادل الآراء والأفكار، ونظرًا لما لها من دور فعّال، حاول الإنسان أن يركّز اهتماماته على ممارسة اللّغات لينميّ ملكاته اللّغويّة، إلّا أنّه قد أحدث خلطًا في الممارسة، فانتشرت ظواهر مختلفة، كظاهرة الازدواجيّة الّتي شغلت بال العلماء من بينهم: المختصّون في علم الاجتماع اللّغوي والمختصّون في علم النّفس الاجتماعي...

لذا تطرقت في هذا البحث إلى مفهوم الازدواجيّة، وعرضت بعض آراء العلماء لاختلافهم في تحديد المصطلح؛ فمنهم من اعتبر مصطلح الازدواجيّة مساويًّا لمصطلح الثنائيّة، ومنهم من قام بترجمة مصطلح الازدواجيّة بالثنائية، وهناك فريق آخر عكس التّرجمة، إذ جعل مصطلح الثنائيّة ازدواجيّة، وبعدها بيّنت أنواع الازدواجيّة والّتي لها تأثيران ايجابي وسلبي وفي الأخير توصلت إلى تقديم النّتائج.

الكلمات المفاتيح: الازدواجيّة اللّغويّة؛ الثنائيّة اللّغويّة؛ الازدواجيّة الرسميّة؛ الازدواجيّة الفردّية؛ الازدواجيّة الايجابيّة؛ الازدواجيّة السّلبيّة...

The problem of bilingualism

Abstract: Language is a means of communication, used by the individual for the purpose of achieving his purposes and needs, and is one of the most important means of communication being a tool used for

understanding, exchange of views and ideas, and because of their effective role, the man tried to focus his interests on the practice of languages to develop his language however, he has caused a mix of practice, different phenomena are spread, such as the phenomenon of bilingualism that preoccupied the scientists among them: specialists in sociology of linguistics and specialists in social psychology .....

In this research, the concept of bilingualism was discussed and some of the scholars' opinions were presented to differ in the definition of the term. Some of them considered the term bilingualism to be equivalent to the term diglossia and others translated the term bilingualism into diglossia. Some of them reflected translation, then kinds of bilingualism, were shown which have both positive and negative effects and finally reached the results.

Key words: bilingualism; diglossia; official bilingualism; individual bilingualism; positive bilingualism; negative bilingualism.....

مقدّمة: اللّغة وسيلة للتّواصل تستعمل للتّعبير عن أغراض مختلفة؛ وهي أداة تحقق الفهم والإفهام وتعتبر رمزًا للوجود، والاحتكاك بين الأفراد والمجتمعات، وحتى يكون تبادل في المعلومات لابدّ من ممارسة اللّغات لهذا انتشرت ظاهرة الازدواجيّة وهذه الإشكاليّة أثارت جدلا بين الباحثين حول تحديد مفهوم المصطلح، فمنهم من ترجم مصطلح الازدواجيّة بالثنائيّة، ومنهم من رأى العكس؛ أي جعل مصطلح الثنائيّة ازدواجيّة، وبناء على ذلك سأطرح الإشكاليّة الآتيّة: ما مفهوم الازدواجيّة؟ وما أنواعها؟ أيمكن لمصطلح الثنائيّة أن يكون مرادفا لمصطلح الازدواجيّة؟

اختلفت الآراء وتباينت حول تحديد المفهومين " وعند ترجمة هذين المصطلحين نجد أنّهما يحملانفس المعنى، فمصطلح **Diglossia** يتكون من سابقة يونانية **Di** معناها مثنّى أو ثنائي أو مضاعف، و**gloss** معناها لغة، ولاحقة **ia** للحالة، فحاصل الترجمة: صفة أو حالة لغة أو مثناه أو مضاعفة (الثنائية اللغوية)، والمصطلح **Bilinguisme** يتكون من سابقة

لاتينية **Bi** معناها مثنى أو مضاعف، **lingual**لغوي، ولاحقة**ism** الدالة على السلوك المميز أو حالة أو صفة، فحاصل الترجمة: سلوك لغوي مثنى أو مضاعف (الثنائية اللغوية)[1]" (كايد محمود، 2002 ص.55). نلحظ من خلال النّص أن تسميّة الثنائيّة في اللّغة اللاّتينيّة تنطبق على كلا المصطلحين **Diglossia** و **Bilinguisme** فهل من المنطق أن يحملا مفهوما أو معنا واحد بالرّغم من أنّهما مختلفان ؟

لقد حدد **شال فرغيسون** (**Charles Fergusson**) الازدواجيّة اللّغوية "على أنها العلاقةُ الثابتة بين ضرْبَين لغويين بديلَين ينتميان إلى أصل جيني واحد: أحدهما راقٍ والآخَر وضيع[2]" (كالفي، 2008، ص.78). ويعني ذلك أن مفهوم الازدواجيّة يتوقف على وجود مستويين للغة واحدة أي بين مستوى المعيّار الذي يمثله المستوى(الفصيح)، ومستوى آخر الذي يمثله المستوى العامي أو (اللّهجي)، فالأوّل يحدث في الإجراءات الرّسميّة مثل: الأدب الشّعر، الفنون، والثّاني خاص بالأغلبيّة أي تتحدّث به عامة النّاس.

ووضّح شال فرغيسون هذين النوعين بالجدول الآتي:[3](كالفي، 2008، ص.78).

الأحوال	الضرب الراقي	الضرب الوضيع
المواعظ والعبادة	+	
الأوامر للعمال والخدم		+
الرسائل الخاصة	+	
الخطب السياسية، الجمعيات	+	
الدروس الجامعية	+	
المناقشات الخاصة		+
معلومات عن وسائل الإعلام	+	
مسلسلات		+
نصوص الرسوم الفكاهية	+	
الشعر	+	
الأدب الشعبي		+

يتبيّن من خلال الجدول أن الضّرب الرّاقي عند فرغيسون يمثله مستوى المعيار أو (الفصيح) والّذي يستعمل في: الخطب السّياسيّة، الدّروس الجامعيّة، الشّعر.... ويظهر الضّرب الوضيع في المستوى الشّعبي أو(اللّهجي) حيث يستخدم في الحياة اليوميّة كالمناقشات الخاصّة المسلسلات، الأدب الشّعبي....وما يميّز الضّربين هو أن المستوى الأوّل مجاله الكتابة بينما الثّاني يحدث عن طريق المشافهة.

ونجد رأي **مارتينيه (Martinet)** في هذه المسألة موافقًا مع رأي فرغيسون "فيلجأ إلى القول بأن مصطلح **Bilinguisme** يدل في جذوره اللغوية على معنى الثنائية اللسانية، ويدل **Diglossia** على الازدواج اللغوي، وقد وصل إلى هذه القناعة من العودة إلى جذر كل مصطلح من المصطلحين إذ ذهب إلى القول بأن عنصر لسان"ألسونة **lingu**" يتماثل مع مفردة لسان في اللغتين الانجليزية والفرنسية، وأن عنصر**gloss** لا يفرض مفهوم اللسان الحقيقي بل يوحي بمعنى تنوع اللسان الواحد[4]" (كايد محمود، 2002، ص.57). ويقصد مارتينيه باللّسان الحقيقي وجود لسانين مختلفين ذلك أن كلمة **lingu** في اللّغتين الفرنسيّة والانجليزيّة تدّل على اللّسان، في حين كلمة **gloss** لا تدلّ على المعنى الحقيقي للّسان لتعدّد مستوياته.

أمّا فيشمان (**Fichman**) فقد وسّع تصوّر فرغيسون إذ "جعل فيها الثنائية اللغوية في جهة (وهي قدرة الفرد على استخدام عدد من اللغات) مما يدخل في باب اللسانيات النفسية وجعل فيها الازدواجية اللغوية في جهة أخرى (وهي استخدام عدد من اللغات في مجتمع ما) مما يدخل في باب اللسانيات الاجتماعية[5]" (كالفي، 2008، ص.80) وبهذا يمكن القول: إنَّ فيشمان قد أحدث نوعا من التغيير لما قام به فرغيسون، ويظهر ذلك على مستوى الوظيفة أو الاستخدام، إذ ميّز بين الثنائيّة والازدواجيّة على اعتبار أن الأولى تكون فرديّة (فالمتكلم أثناء الحديث بإمكانه أن يستعمل تقابلات لغويّة)، أو استعماله للّغات عدّة، أمّا الثّانيّة فتعدّ "من خصائص الاستخدام اللغويفي المجتمع، الذي يقوم بدوره بتحديد وظائف اللغة وطرائق استعمالها[6]" (كايد محمود، 2002، ص.60).

ومعنى هذا أنَّ فيشمان قد طوّر ووسّع مفهوم فرغيسون مبيّنا أنَّ الثنائيّة خاصيّة فرديّة، والازدواجيّة خاصيّة اجتماعيّة.

ويرى أصحاب هذا الاتجاه أمثال "ج.هامرس **J.Hamers** وم.بلان **M.Blanc** أنّ الازدواجية اللغويّة تقابل مصطلح **bilingualité**[7]"(طالب الإبراهيمي، 2007). وتعرف على أنّها " قدرة الفرد وتمكّنه من استعمال نظامين لغويين مختلفين[8]" (بكال، 2004، ص.132). كاستعمال الفرد المتكلم للغة العربيّة وانتقاله إلى اللغة الفرنسيّة مثلا

وفي ما يخص ترجمة العرب لهذين المصطلحين فهناك تبادل في تسمية المفهوميّن، فمنهم من اعتبر الازدواجيّة ثنائيّة، ومنهم من رأى العكس " فقد عرّب كل من معجم اللسانيات الصادر عن مكتب تنسيق التعريب، وقاموس اللسانيات لعبد السلام المسدّي المصطلح الإنجليزي **diglossia** ونظيره الفرنسي بالثنائية (اللغوية)، وعربّا **bilingualis** ونظيره الفرنسي بالازدواجية. أما معجم علم اللغة النظري لمحمد علي الخولي، ومعجم اللسانيات لبسام بركة ومعجم مصطلحات علم اللغة الحديث الذي وضعه مجموعة من اللغويين العرب في عدد من الجامعات العربية، فقد عرّبت جميعها المصطلح **(diglossia)** بالازدواجية وعرّبت **(bilingualis)** بالثنائية[9]" (أستيتية، 2008، ص. 665).

من هنا نلحظ أنَّ الفريقين مختلفان، فالأوّل قد اختار ترجمة **(diglossia)** وقصد بها الثنائيّة و **(bilingualis)** قصد بها الازدواجية في حين نجد الفريق الثّاني عكس القضيّة، إذ استعمل **(diglossia)** للازدواجيّة و**(bilingualis)** للثنائيّة، ونحن نفضّل التّرجمة التي أخذ بها الفريق الأوّل على أساس أن الازدواجيّة جاءت من كلمة (زوج)، وقد ورد في معجم مقاييس اللّغة لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا أنّ " الزاء والواو والجيم أصلٌ يدلّ على مقارنة شيءٍ لشيء من ذلك (الزّوج زوج المرأة. و المرأة) زوج بعلها وهو الفصيح قال تعالى جل ثناؤه: ﴿أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الجنَّة﴾ ويقال لفلانٍ زوجان من الحمام، يعني ذكرًا وأنثى فأمّا قوله جلّ وعزّ في ذِكر النبات: ﴿من كلِّ زوجٍ بهيجٍ﴾، فيقال أراد به اللّون، كأنَّه قال من كل لونٍ بهيج[10]" (أبو الحسن أحمد، 1991، مادة زوج) كما يمكن للمقارنة أن تحدث بين صوتين مختلفين كأن نقول مثلا؛ هذا الصوت لا يماثل صوت فلان، فالازدواجيّة تعرّف على أنّها "استعمال نظامين لغويين في آن واحد، للتعبير أو الشرح وهو نوع من الانتقال من لغة لأخرى[11]" (بلعيد، 2012، ص.306) نفهم من هذا التّعريف أنّ الازدواجيّة تعني وجود نظامين مختلفين لا ينتميان إلى لغة واحدة؛ كانتقال الفرد المتكلم في حال استعماله للّغة العربيّة مثلا إلى اللّغة الفرنسيّة، أو من اللّغة المازيغيّة إلى اللّغة الفرنسيّة، أو من اللّغة

الفرنسيّة إلى اللّغة الإنجليزيّة، أمّا الثنائيّة فهي كلمة مشتقة من مادة (ثني) لأن" الثاء والنون والياء أصلٌ واحد، وهو تكرير الشيءِ مرّتين أو جعلُه شيئين متواليين أو متباينين، وذلك قولك ثنيت الشّيءَ ثنيا. والاثنان في العدد معروفان والثِّنَى والثِّنْيانُ الذي يكون بعد السّيِّد كأنه ثانيه[12]" (أبو الحسن أحمد،1991، مادة ثني). وتعني الثنائيّة وجود نمطين لغويين ينتميان إلى لغة واحدة: الأوّل هو مستوى المعيار أو (الفصيح)، والّذي يستعمل في المناسبات الرّسميّة كالتّدريس والخطابات الدينيّة والسياسيّة..... والثّاني يستخدم في المستوى الشّعبي أو(اللّهجي)، كونه مرتبطًا بالحياة اليوميّة كالمناقشات الخاصّة، والحوارات التّي تجرى في الشّارع.....

وقد فصّل عمار ساسي في كتابه اللّسان العربي وقضايا العصر بين الازدواجيّة والثنائيّة فيقول: " والذي أرجحه في هذا المقام أنّ الثنائية ليست هي الازدواجية إذ الأولى هي الوضعية اللغوية التي يحصل فيها الكلام عن موضوع ما حسب المقام والمكان بتناوب بين لغة ولهجتها وهي التي تقابل مصطلح **diglossie** بالفرنسية وأن الثانيةلا تخص لغة ولهجتها إنما لغتين مختلفتين كالعربية والفرنسية في الجزائر مثلا ولا شك أن الوضعيتين مختلفتان تماما ولا مجال للتداخل بينهما[13]"(ساسي، 2001، ص.97). يتبين من خلال هذا النّص أنَّ الفرق واضح بين الظّاهرتين، فمفهوم الثنائيّة **diglossie** يختلف تماما عن مفهوم الازدواجيّة **.Bilinguisme**

وبالإضافة إلى ما سبق؛ نجد أحمد بن نعمان في كتابه التعريب بين المبدأ والتطبيق تحدث عن الازدواجيّة اللّغويّة، وقدّم لنا مفهوما آخر يتمثل في "اعتماد البلاد للغتين أو أكثر في التعليم وبتالي في الاستعمالاليومي، في مختلف مجالات الحياة الاجتماعية، وهذا الوضع الشاذ الذي نجده في العديد من بلدان العالم الكبير، والعالم العربي الصغير يعود في أساسه إلى سياسة الاستعمار المباشر إزاء الدول المستعمرة، أو إلى سياسة الدول ذاتها، إزاء نفسها، بفعل الذهنية القابلة للاستعمار، أو عوامل الاستلاب الثقافي، والاستعمار الجديد... أو بدعوى مساعدة اللغة الوطنية الضعيفة حتى تقف على أرجلها التي كسرها التخلف، بكل أشكاله وأنواعه(...)وهكذا وجدنا أنفسنا أمام عدد من الأسباب وأنواع من الازدواجية اللغوية[14]" (بن نعمان،1981 ص.451). إنَّ المفهوم العام للازدواجيّة اللّغويّة يتمثل في استعمال البلاد للغتين، أو أكثر سواء في ميدان التّعليم، أو في الحياة الاجتماعيّة، وهي

ظاهرة موجودة في العالم ككل، وبنسب متفاوتة وقد ظهرت هذه الآثار من مخلفات الاستعمار بمختلف أنواعه: السّياسي، أو الاقتصادي أو الثّقافي، ولهذا تفرّعت الازدواجيّة إلى أنواع.

❖ **أنواع الازدواجيّة:** بعد تحديد المفهوم العام للازدواجيّة، سأتعرض إلى بعض أنواعها المتمثلة فيما يأتي:

✓ **الازدواجيّة الرّسميّة:** وتعرف على أنّها " لجوء الدولة في إطار مخططاتها التنموية والثقافية إلى استعمال لغتين في عملية التدريس، وفي تسير هياكلها ومؤسساتها[15]" (بن زروق، 2014، ص.383). وهو أن تتجه دولة ما إلى استعمال لغتين لتنظيم مخططاتها التنمويّة والثقافيّة، ويظهر ذلك في مجال التّعليم والتّكوين مثلا؛

✓ **الازدواجيّة الفرديّة:** وهي التّي "تتعلق بالأفراد الذين يتقنون لغتين مختلفتين بالكفاءة نفسها[16]"(بن زروق، 2014، ص.384). أي إنَّ الازدواجيّة الفرديّة تتمثل في إتقان الفرد للغتين مختلفتين (كالعربيّة والفرنسيّة) ولكي يتمّ ذلك لا بدّ من استعمال اللّغتين بنفس الدّرجة وكذلك بنفس الكفاءة؛ إذ إنَّ المتكلّم في هذه الحالة يملك رصيدين مختلفين يستطيع أن يوظف كلتا اللّغتين بطريقة مساويّة؛ كأن يجرى حديثا أو حوارا مع شخص أجنبي يكون (فرنسي)، فاستعماله للّغة الفرنسيّة يكون مطابقا لاستعماله للّغة العربيّة، كما يمكن للسّامع أن يتخيّل أنَّ المتكلم فرنسي بالرّغم من أنّه عربي؛

✓ **الازدواجيّة الايجابيّة:** تكون الازدواجيّة الايجابيّة بهدف "النهوض بمستوى اللغة الوطنية وبالقدر الذي يفيد هذه اللغة ولا يضربها [17]" (بن نعمان، 1981، ص.464). ومثل هذه الازدواجيّة لا تضر اللّغة بقدر ما تساهم في تطوير المعرفة؛

✓ **الازدواجيّة السّلبيّة:** وهي تلك "الازدواجية التي تتجاوز حدها لتنقلب إلى ضدها فتسيء أكثر مماتصلح، وتهدم أكثر مما تبني، ومن نتائجها أن تخلق فئات، وطبقات اجتماعية متعارضة المصالح، والاهتمامات والاتجاهات الفكرية والثقافية، والاديولوجية، وتخلق بالتالي اتجاهات معارضة للازدواجية من أسسها ليس كرها في اللغة الأجنبية وإنما حبا للغة الوطنية وليس رفضا للتفتح وإنما رفضا للذوبان، وليس رفضا لحب البقاء، وإنما رفضا لخطر الفناء[18]" (بن نعمان، 1981 ص.464). وعلى هذا جاز القول: إنَّ لهذه الازدواجيّة

جانبين جانب ايجابي، وجانب سلبي، إذا أجاد المستعمل استعمالها ووظفها لخدمة مصالحه، سوف تحقق له فوائد يستفيد منها، وإن أساء استخدامها بالطّبع ستؤدي به إلى التّلاشي والزّوال؛

➢ **نتائج البحث:** إنّ الحديث عن الازدواجيّة اللّغويّة يقتضي الحديث عن الثنائيّة اللّغويّة، وقد توصلت من خلال البحث هذا إلى جملة من النتائج:

✓ اختلاف اللّسانيين في ترجمة المصطلحين، فمنهم من اعتبر الازدواجيّة **Bilinguisme** وثنائيّة **Diglossie** ومنهم من رأى عكس ذلك؛

✓ عدم إيجاد مصطلح موحد فالمصطلح الفرنسي **Bilinguisme** يقابله المصطلح **bilingualism** باللّغة الانجليزيّة، ومصطلح Diglossie باللّغة الفرنسيّة يقابله المصطلح **Diglossia** باللّغة الانجليزيّة؛

✓ خلط علماء الغرب في ترجمة المصطلحين انعكس سلبا على علماء العرب؛

✓ انقسام العرب إلى فريقين، فالأوّل اختار ترجمة **Bilinguisme** وقصد بها الازدواجية و **Diglossie** قصد بها الثنائية، والثّاني أخذ عكس ما ترجمه الأول؛

✓ اختلاف اللّسانيين في تحديد مفهوم الازدواجيّة، فهناك من عرّف المصطلح على أنّه وجود مستويين للغة واحدة، أي بين مستوى المعيّار الذي يحدث في المناسبات الرسميّة، ومستوى آخر يمثله المستوى اللّهجي وهناك من رأى أنّه استعمال لنمطين لغويين لا ينتميان إلى لغة واحدة كالعربيّة والفرنسيّة؛

✓ الثنائيّة ليست هي الازدواجيّة؛

✓ للازدواجيّة أنواع منها ما يتعلق بالايجابيّات، ومنها ما يتعلق بالسلبيّات.

الهوامش:

[1]- كايد محمود، إبراهيم (2002). "العربية الفصحى بين الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية". **المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل (العلوم الإنسانية والإدارية).** مج.3، ع.1، ص.55.

[2]- كالفي، لويس جان (2008). **حرب اللغات والسياسات اللغوية.** تر. حسن حمزة. مراجعة: سلام بزي حمزة. بيروت: المنظمة العربية للترجمة.

[3]- كالفي، لويس جان (2008). **حرب اللغات والسياسات اللغوية.** تر. حسن حمزة. مراجعة: سلام بزي حمزة. بيروت: المنظمة العربية للترجمة.

[4]- كايد محمود، إبراهيم (2002). "العربية الفصحى بين الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية". **المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل (العلوم الإنسانية والإدارية).** مج.3، ع.1، ص.57.

[5]- كالفي، لويس جان (2008). **حرب اللغات والسياسات اللغوية.** تر. حسن حمزة. مراجعة: سلام بزي حمزة. بيروت: المنظمة العربية للترجمة.

[6]- كايد محمود، إبراهيم (2002). "العربية الفصحى بين الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية". **المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل (العلوم الإنسانية والإدارية).** مج.3، ع.1، ص.60.

[7]- طالب الابراهيمي، خولة (2007). **الجزائريون والمسألة اللغوية.** تر. محمد يحياتن. الجزائر: دار الحكمة.

[8]- بكال، صونية (2004). " الازدواجيّة اللغويّة ". **دار هومة.** د.ع، ص.132.

[9]- أستيتية، سمير شريف (2008). **اللّسانيات المجال، والوظيفة، والمنهج.** إربد- الأردن: عالم الكتب الحديث.

[10]- أبو الحسن أحمد، بن فارس بن زكريا (1991). **مقاييس اللغة.** بيروت: دار الجيل.

[11]- بلعيد، صالح (2012). **هموم لغوية.** تيزي-وزّو: منشورات مخبر الممارسات اللّغويّة.

[12]-أبو الحسن أحمد، بن فارس بن زكريا (1991). **مقاييس اللّغة.** بيروت: دار الجيل.

[13]- ساسي، عمار(2001). **اللسان العربي وقضايا العصر رؤية علمية في: الفهم، المنهج، الخصائص التعليم، التحليل.** الجزائر: دار المعارف للإنتاج والتوزيع- بوفاريك- ولاية البليدة ص.ب.214س.

[14]- بن نعمان، أحمد (1981)، **التعريب بين المبدإ والتطبيق في (الجزائر والعالم العربي).** الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

[15]- بن زروق، نصر الدين (2014)، "الازدواجية اللغوية وواقع اللغة العربية الفصحى في الجزائر". **المجلس الأعلى للغة العربية.** ج.2، ص.383.

[16]- بن زروق، نصر الدين (2014)، "الازدواجية اللغوية وواقع اللغة العربية الفصحى في الجزائر" . **المجلس الأعلى للغة العربية.** ج.2، ص.384.

[17]- بن نعمان، أحمد (1981)، **التعريب بين المبدإ والتطبيق في (الجزائر والعالم العربي)**. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

[18]- بن نعمان، أحمد (1981)، **التعريب بين المبدإ والتطبيق في (الجزائر والعالم العربي)**. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.